

جهود منظمة USIA في الدعوة الإسلامية في جزيرة سيمبورا ولاية صباح

محمد نظران بن أربعاء

باحث ماجستير جامعة السلطان عبد الحليم معظم شاه الإسلامية العالمية

Sultan Abdul Halim Mu'adzam Shah International Islamic University, Malaysia
(UniSHAMS)

د. رضا عويس حسن سرور

أستاذ الدعوة ومقارنة الأديان المساعد – كلية أصول الدين وعلوم القرآن

Sultan Abdul Halim Mu'adzam Shah International Islamic University, Malaysia
(UniSHAMS)

ملخص

يستعرض البحث أهمية الدعوة الإسلامية وضرورتها في المجتمعات، مع التركيز على المناطق الطرفية مثل جزر سيمبورا بولاية صباح، ماليزيا، ويسلط الضوء على دور المنظمات الإسلامية غير الحكومية كمنظمة الاتحاد الإسلامي لولاية صباح (USIA) في جهود الدعوة. تكمن مشكلة البحث في النقص الواضح في الدراسات الميدانية النقدية التي تقيّم فعالية جهود الدعوة في هذه المناطق، والحاجة إلى فهم تأثير التحولات الاجتماعية الناتجة عن جائحة كوفيد-19. ويهدف البحث إلى وصف وتحليل برامج USIA الدعوية، والتعرف على منهجياتها ووسائلها، وتحديد التحديات المؤسسية والمجتمعية، وتقييم استجابة السكان المحليين، وتقديم توصيات لتحسين العمل الدعوي.

تتجلى أهمية البحث في كونه يسد فجوة بحثية في الدراسات الدعوية، ويقدم نموذجًا تطبيقيًا للمنهج الكيفي، ويساهم في تحسين الوعي الديني في المجتمعات النائية، ويزود المنظمات الدعوية بمعطيات للتخطيط والتطوير. يعتمد البحث على المنهج النوعي باستخدام المقابلات والملاحظة وتحليل الوثائق.

أظهرت النتائج تأثيرًا إيجابيًا للدعوة على الوعي الديني والممارسات اليومية، ولكنها تواجه تحديات لوجستية وبيئية، وتؤكد على أهمية السياق الاجتماعي والثقافي وفعالية الدعاة المحليين، مع وجود

قصور في التمويل المؤسسي والحاجة إلى آليات متابعة وتقويم، بالإضافة إلى دور اللغة والتواصل
وضرورة تلبية احتياجات المهتمين الجدد.

ويخلص البحث إلى ضرورة تطوير استراتيجيات دعوية أكثر ملائمة واستدامة، ويدعو إلى تضافر
الجهود وتقديم الدعم المتكامل للعمل الدعوي في المنطقة.

Abstract

The research examines the importance and necessity of Islamic Da'wah (call or invitation) in societies, focusing on peripheral areas such as the Semporna islands in the state of Sabah, Malaysia, and highlights the role of Islamic non-governmental organizations such as the United Sabah Islamic Association (USIA) in Da'wah efforts. The research problem lies in the clear lack of critical field studies that evaluate the effectiveness of Da'wah efforts in these areas, and the need to understand the impact of social transformations resulting from the COVID-19 pandemic. The research aims to describe and analyze USIA's Da'wah programs, and to identify its methodologies and means, determine institutional and societal challenges, assess the response of local residents, and provide recommendations for improving Da'wah work.

The significance of the research is evident in that it fills a research gap in Da'wah studies, provides an applied model for the qualitative approach, contributes to improving religious awareness in remote societies, and supplies Da'wah organizations with data for planning and development. The research relies on the qualitative approach using interviews, observation, and document analysis.

The results showed a positive impact of Da'wah on religious awareness and daily practices, but it faces logistical and environmental challenges, and emphasizes the importance of the social and cultural context and the effectiveness of local preachers, with the existence of shortcomings in institutional funding and the need for follow-up and evaluation mechanisms, in addition to the role of language and communication and the necessity of meeting the needs of new converts.

The research concludes with the necessity of developing more appropriate and sustainable Da'wah strategies, and calls for concerted efforts and the provision of integrated support for Da'wah work in the region.

الكلمات المفتاحية

الدعوة الإسلامية: تشير إلى الجهد المبذول لنشر تعاليم الإسلام وقيمه.

منظمة USIA: هي المنظمة الإسلامية غير الحكومية التي يركز عليها البحث، وتقوم بجهود الدعوة في المنطقة.

جزر سيمبورا: هي المنطقة الجغرافية التي يدرسها البحث، وتقع في ولاية صباح.

ولاية صباح: هي الولاية التي تقع فيها جزر سيمبورا، وهي جزء من دولة ماليزيا.

المنهج النوعي: هو المنهج البحثي الذي استخدم في الدراسة، ويعتمد على جمع وتحليل البيانات غير الرقمية.

المجتمعات الطرفية: تشير إلى المجتمعات النائية أو المهمشة التي يركز عليها البحث.

التنمية المجتمعية: تشير إلى الجهود المبذولة لتحسين الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والثقافية في المجتمعات المحلية من خلال الدعوة.

التعليم الديني: يشير إلى البرامج والأنشطة التعليمية التي تهدف إلى نشر المعرفة الدينية.

التحديات الدعوية: تشير إلى المشكلات والصعوبات التي تواجه العاملين في مجال الدعوة في المنطقة.

التقييم الدعوي: يشير إلى عملية تقييم فعالية جهود الدعوة وقياس تأثيرها.

مقدمة

تعد الدعوة الإسلامية واجباً شرعياً وضرورة اجتماعية في آنٍ واحد . فهي تمثل رسالة الأنبياء والرسل، ووسيلة لتجديد الدين في النفوس، وبناء وعي مجتمعي مستنير بالقيم القرآنية . وفي هذا السياق الشامل، تبرز أهمية الجهود الدعوية في المناطق الطرفية والنائية، خاصة في دول ذات تنوع عرقي وديني مثل ماليزيا.

تتميز ولاية صباح بتنوع ديموغرافي وديني واسع، وتضم عددًا كبيرًا من الجزر المأهولة وغير المأهولة، التي تسكنها شعوب متنوعة مثل الباجاو والسولو، إضافة إلى لاجئين ومهاجرين من جنوب الفلبين . وتُعدّ منطقة سيمبورا واحدة من أبرز هذه المناطق الجزرية التي تواجه تحديات ثقافية واقتصادية تؤثر بشكل مباشر على الممارسة الدينية ومستوى الوعي الإسلامي.

من هنا، يبرز دور المنظمات الإسلامية غير الحكومية، وفي مقدمتها الاتحاد الإسلامي لولاية صباح (USIA)، في أداء أدوار دعوية وتربوية ضرورية لدعم الوجود الإسلامي في تلك الجزر. ومنذ تأسيسها في ستينيات القرن الماضي، سعت منظمة USIA إلى نشر التعاليم الإسلامية، وبناء المساجد، وتدريب الأئمة، وتنفيذ برامج تربوية واجتماعية. ومع ذلك، تظل هذه الجهود بحاجة إلى دراسات ميدانية نقدية، تُقيّم فعاليتها وتكشف تحدياتها، خاصة في سياق التحولات الاجتماعية بين عامي ٢٠٢٠-٢٠٢٥.

في هذا الصدد، تشير معظم الدراسات الإسلامية في ماليزيا إلى تركيز الباحثين على الدعوة في المناطق الحضرية أو المركزية، بينما يغيب الاهتمام الأكاديمي عن المناطق الجزرية البعيدة التي غالبًا ما تواجه تحديات مركبة تشمل الفقر، والأمية، والعزلة المكانية، والضعف المؤسسي. وتُعدّ جزر سيمبورا من أبرز هذه المناطق التي يقطنها سكان مسلمون بنسبة تتجاوز ٩٠٪، لكنهم يعانون من نقص في الوعي الديني والخدمات التعليمية الدينية الرسمية. وعلى الرغم من الجهود التي تبذلها منظمة USIA في تنفيذ برامج دعوية في هذه الجزر، إلا أنه لا توجد دراسة علمية منهجية تناولت بالدراسة الميدانية مدى فعالية تلك الجهود، ونطاق تأثيرها، والآليات التي تعتمد عليها، والتحديات التي تواجهها، خلال الفترة الزمنية الحديثة (٢٠٢٠-٢٠٢٥)، خاصة بعد جائحة كوفيد-١٩ وما تبعها من تحولات في آليات التفاعل المجتمعي.

انطلاقًا من هنا، تهدف هذه الدراسة إلى تقديم تحليل نوعي معمّق لجهود منظمة USIA في الدعوة الإسلامية بجزر سيمبورا خلال السنوات الخمس الماضية، وذلك من خلال: وصف وتحليل البرامج الدعوية التي نفذتها USIA في سيمبورا. والتعرف على المنهجيات والوسائل المستخدمة في إيصال الرسالة الدعوية، وتحديد أبرز التحديات المؤسسية والمجتمعية التي تواجه الأنشطة الدعوية في الجزر. وتقييم مستوى استجابة السكان المحليين لتلك البرامج، وتقديم توصيات لتحسين كفاءة وتأثير العمل الدعوي في المناطق الجزرية.

وبناءً على ما سبق، تتمحور الدراسة حول الأسئلة التالية: ما هي أنواع الأنشطة الدعوية التي تقدمها منظمة USIA في جزر سيمبورا؟ وكيف يتم تنفيذ تلك الأنشطة، وما هي الوسائل المستخدمة؟

وما التحديات التي تواجه العاملين في هذه المناطق؟ وما مدى تفاعل المجتمعات المحلية مع الجهود الدعوية المبذولة؟ وكيف أثرت جائحة كوفيد-١٩ على استمرارية برامج الدعوة في الجزر؟.

تكتسب هذه الدراسة أهمية خاصة لكونها تسعى إلى سد فراغ بحثي واضح في ميدان الدراسات الدعوية، وخصوصًا تلك المرتبطة بالمجتمعات الطرفية والبيئات الجغرافية الهامشية مثل جزر سيمبورا في ولاية صباح. ففي السياق الأكاديمي، تُعدّ هذه الدراسة من المحاولات النادرة التي تتناول الدعوة الإسلامية في الجزر الماليزية، مع توظيف أدوات البحث النوعي الميداني من مقابلات وملاحظة وتحليل وثائق. وتقدم الدراسة نموذجًا تطبيقيًا لاستخدام المنهج الكيفي في دراسة الظواهر الدعوية، في بيئة يندر فيها توفر بيانات كمية منظمة، كما هو الحال في جزر شرق صباح. وقد عالجت بذلك فجوة معرفية تتمثل في نقص البحوث التي تستند إلى ميدان الدعوة الواقعي، لا سيما في المجتمعات التي تعاني من العزلة الجغرافية أو ضعف البنية المؤسسية.

أما من الناحية المجتمعية، فإن نتائج هذه الدراسة تحمل إمكانية كبيرة للمساهمة في تحسين مستوى الوعي الديني في المجتمعات النائية، من خلال الكشف عن التصورات، التحديات، ومواطن القوة والضعف في البرامج الدعوية القائمة. ومن الناحية المؤسسية، تُزود هذه الدراسة منظمة USIA وغيرها من الهيئات الدعوية غير الحكومية بمجموعة من المعطيات التحليلية القابلة للاستخدام في عمليات التخطيط والتطوير.

وبناءً على ذلك، فإن أهمية هذه الدراسة لا تقتصر على الجانب النظري أو المنهجي فحسب، بل تتعداه إلى أبعاد تطبيقية ملموسة، سواء على مستوى الفرد المسلم في الجزر، أو على مستوى المؤسسات التي تسعى إلى تقديم خطاب دعوي أصيل، فعال، ومتجذر في السياق المحلي.

وتقتصر حدود الدراسة على الفترة الزمنية من عام ٢٠٢٠ حتى ٢٠٢٥، وجزر منطقة سيمبورا في ولاية صباح، وجهود منظمة USIA في مجال الدعوة الإسلامية، والمنهجية النوعية التي تعتمد على المقابلات، والملاحظة، وتحليل الوثائق الميدانية. وتتبع الدراسة المنهج النوعي، الذي يتيح للباحث فهم السياق الثقافي والاجتماعي العميق لبيئة الدراسة.

وتتضمن مصطلحات الدراسة كلاً من USIA :، والدعوة الإسلامية، وجزر سيمبورا، والمنهج النوعي. وتقع منطقة سيمبورا في أقصى شرق صباح، وهي منطقة ساحلية ذات أهمية استراتيجية.

ومن خلال التقارير السنوية، والمقابلات الأولية، يمكن تلخيص التحديات التي تواجه الدعوة في سيمبورا. ويوفر هذه الدراسة تصوراً ميدانياً متكاملًا يمكن لمنظمة USIA استخدامه في إعادة هيكلة برامجها، وتعزيز التواصل مع المجتمع المحلي، وتوسيع قاعدة التفاعل الشبابي، ودعم التحول نحو الرقمنة.

ويشكل الإطار النظري قاعدة الأساس لأي دراسة علمية منهجية، إذ يمثل البعد الفكري والتفسيري الذي تُبنى عليه مفاهيم البحث، وآلياته التحليلية. وبما أن هذه الدراسة تتناول جهود منظمة USIA في الدعوة الإسلامية بجزر سيمبورا، فمن الضروري استعراض الأدبيات التي تناولت مفاهيم الدعوة، والعمل الدعوي في المناطق الطرفية، ودور المنظمات الإسلامية غير الحكومية.

وتُعَدّ الدعوة الإسلامية من الركائز الأساسية التي يقوم عليها البناء الحضاري للأمة الإسلامية. وتُعرّف الدعوة في اللغة بأنها "النداء إلى شيء". ويعتبر القيام بالدعوة شرفاً عظيماً للمسلم، حيث يقوم بمهمة الأنبياء في تبليغ دعوة الله سبحانه وتعالى للناس وتعريفهم بطريق الخير¹.

وفي العصر الحديث، شهد مفهوم الدعوة تطوراً واضحاً نتيجة التغيرات الثقافية، والتحولات السياسية والاجتماعية، والتوسع في أدوات الاتصال والمعرفة. ومن أبرز هذه النماذج ما يُعرف بـ "نظرية السياق الثقافي في الدعوة".

وفي السياق نفسه، ظهرت نظرية ثانية تُعرف باسم "نظرية التمكين المجتمعي الدعوي". وفي ضوء ذلك، يتضح أن النظريات الحديثة في العمل الدعوي تقدم إطاراً عملياً مرناً يساعد المنظمات الدعوية على مواجهة تحديات العصر، وتحقيق التفاعل الحقيقي مع المجتمعات المحلية، خاصة في المناطق الطرفية التي تحتاج إلى أنماط غير تقليدية من التواصل الدعوي، كما هو الحال في جزر سيمبورا.

¹ Dr Rejab Abu Maleh Muhammad, 16 Mei 2017, Berdakwah Kepada Allah SWT, <https://dakwahdantarbiah.com/berdakwah-kepada-allah-swt>

والدعوة في الجزر النائية تتطلب منهجًا خاصًا نظرًا لما تواجهه من عزلة، وضعف في البنية التحتية، ونقص في المؤسسات الدينية. وأصبح للمنظمات غير الحكومية الإسلامية دور محوري في التوسع الدعوي، خصوصًا في المناطق التي يصعب على الدولة الوصول إليها بشكل دائم. وفي السياق الماليزي، تلعب هذه المنظمات دورًا مكملًا للدولة، لا سيما في مناطق مثل سيمبورا حيث ضعف مؤسسات الشؤون الدينية الرسمية.

ورغم وفرة الأدبيات الدعوية في ماليزيا، فإن الدراسات التي تناولت ولاية صباح لا تزال قليلة. ويتضح من استعراض الدراسات السابقة أن هناك ثغرة واضحة في الأدبيات تتمثل في غياب دراسة ميدانية نوعية تحليلية تركز بشكل خاص على جزر سيمبورا.

في ضوء ذلك، يهدف هذا البحث إلى دراسة جهود منظمة USIA في الدعوة الإسلامية في جزر سيمبورا، وهي منطقة ذات أهمية خاصة نظرًا لتحدياتها الفريدة واحتياجاتها الخاصة.

إنّ الدعوة في البيئات المهمشة، مثل جزر سيمبورا، لا تقتصر على إيصال الأحكام الدينية، بل تمتد لتكون أداة لتمكين الإنسان من استعادة كرامته وهويته، والتغلب على ظروف التهميش والانقطاع عن المؤسسات الرسمية. وفي السنوات الأخيرة، برزت الدعوة المقاصدية كاتجاه حديث في الفكر الدعوي، يركز على تحقيق مقاصد الشريعة في حياة الناس.

قمت بعرض نتائج وتحليل البيانات النوعية التي جمعتها من المقابلات والملاحظات الميدانية وتحليل الوثائق المتعلقة بأنشطة منظمة USIA في جزر سيمبورا. وقد ركزت في تحليلي على استخراج الموضوعات المتكررة التي ظهرت من خلال تجارب المشاركين وتصوراتهم، وذلك باستخدام منهج التحليل الموضوعي. وقد توصلت إلى تحديد عشرة موضوعات رئيسية تمثل الجوهر المشترك للتجارب والمعاني، وهي مدعومة بأمثلة واقعية من تصريحات المشاركين في الميدان.

بعد تنفيذ المقابلات الميدانية والملاحظة المباشرة وتحليل الوثائق الدعوية لمنظمة USIA، قمت بتصنيف البيانات النوعية إلى عشرة موضوعات رئيسية تمثل التجارب والمواقف الأكثر تكرارًا وتأثيرًا

في خطاب المشاركين. هذه الموضوعات تعكس أبعادًا متعددة لواقع العمل الدعوي في جزر سيمبورا، وتُظهر في الوقت ذاته السياق الاجتماعي والاقتصادي واللغوي الذي يؤثر على فاعلية البرامج الدعوية.

أظهرت نتائج المقابلات والملاحظات الميدانية أن أغلب المشاركين لاحظوا تحسنًا ملحوظًا في مستوى وعيهم الديني بعد المشاركة في الأنشطة التي تنظمها منظمة USIA. وقد تكررت الإشارة إلى أن دروس الطهارة، الصلاة، والأخلاق الإسلامية اليومية كانت الأكثر تأثيرًا، لأنها تمس الجانب العملي لحياة السكان. ولم يكن التأثير مقتصرًا على الأفراد فقط، بل امتد إلى الأسرة. وحسب تحليلي، فإن هذا النمط من التأثير العائلي يدعم ما ذهب إليه عبد الرزاق (٢٠٢٤)^١ في تحليله لبرامج الدعوة المجتمعية، حيث أشار إلى أن أثر الدعوة في المجتمعات الجزرية غالبًا ما يتجلى في الحياة الأسرية اليومية، وليس في السلوك العلني فقط.

كما أظهر تحليل الملاحظات الميدانية التي سجلتها أثناء حضور دورة "أساسيات التوحيد" في جزيرة سوم سوم، أن الأسئلة المطروحة من المشاركين كانت ذات طابع عملي جدًّا، وهو ما يدل على أن المتلقين يتعطشون لفهم الدين بوصفه سلوكًا يوميًا. وإجمالًا، يُظهر هذا المحور أن الأنشطة الدعوية التي تبنتها USIA لا تؤدي فقط إلى رفع مستوى المعلومات الدينية، بل تُحدث تغييرًا في نمط الحياة، وتُشعل رغبة في مواصلة التعلّم الديني في بيئات غير رسمية.

وقد كشفت البيانات التي جمعتها أن واحدة من أشد العوائق التي تعيق العمل الدعوي في جزر سيمبورا هي التحديات المرتبطة بالبيئة الطبيعية والواقع اللوجستي. وأجمع معظم الدعاة والميسرين الميدانيين على أن التنقل بين الجزر يعتمد كليًا على القوارب التقليدية، والتي قد تتوقف لأيام أو أسابيع بسبب الأمطار أو اضطراب البحر. وحسب ملاحظتي الميدانية، فإن نقص المعدات التقنية يمثل عائقًا آخر. وتؤكد هذه النتائج ما ورد في تقرير منظمة USIA لعام ٢٠٢٢، حيث اعتُبر ضعف البنية التحتية والنقل البحري من الأسباب الرئيسية التي تعوق تنفيذ البرامج الدعوية طويلة

^١ عبد الرزاق، م. (2024). الدعوة الإسلامية في المجتمعات البحرية: دراسة حالة في شرق ماليزيا. مجلة الدراسات الدعوية،

الأمد في الجزر. وبناءً على ذلك، فإن التحدي البيئي ليس مجرد عامل خارجي، بل هو عنصر يُشكل بنية البرنامج ذاته، ويتطلب إعادة تفكير في تصميم الأنشطة وأساليب التوصيل الدعوي.

كما أظهرت بيانات المقابلات والملاحظة الميدانية التي أجريتها أن استجابة المجتمع المحلي في جزر سيمبورا للأنشطة الدعوية كانت إيجابية للغاية، خاصةً عندما تُقدّم هذه الأنشطة في إطار اجتماعي تفاعلي يتجاوز التلقين المباشر. وحسب تحليلي فإن هذا التفاعل كان أكثر وضوحاً في البرامج الرمضانية، وهذا يشير إلى أهمية الدمج بين البعد الديني والبعد الاجتماعي في الخطاب الدعوي، بما يتماشى مع خصوصية ثقافة الجزيرة التي تُقدّر الضيافة والجماعية. وقد لاحظت، خلال إحدى المناسبات الرمضانية التي حضرتها USIA في جزيرة بوم بوم، أن الأطفال كانوا يشاركون بنشاط في ترديد الأذكار، بينما النساء كن يشرفن على توزيع التمر والماء، ما خلق بيئة دينية مجتمعية غير رسمية لكنها فاعلة. وهذا النوع من التفاعل يعكس ما ناقشه محمد يوسف (٢٠٢٢)^١ في دراسته حول "الترفيه التربوي في الخطاب الدعوي"، حيث أكد أن الدعوة حين تكون تجربة وجدانية وجماعية تصبح أكثر تأثيراً من النصوص المجردة. وحسب تحليلي فإن نجاح الدعوة في البيئة الجزرية يعتمد بدرجة كبيرة على مرونة أسلوب التقديم، والتكيف مع ثقافة المشاركة المجتمعية، ومراعاة البساطة في الطرح، وهو ما يُعد درساً مهماً في تصميم المناهج الدعوية المعاصرة.

وقد أظهرت نتائج دراستي بشكل واضح أن الدعوة الفاعلة في جزر سيمبورا ترتبط ارتباطاً مباشراً بمدى محلية الداعية، أي انتمائه إلى نفس البيئة الثقافية والاجتماعية التي يخاطبها. لقد شدد غالبية المشاركين على أن الداعية الذي ينتمي إلى الجزيرة نفسها يتمتع بدرجة أعلى من القبول والثقة، مقارنة بالدعاة القادمين من مناطق أخرى حتى لو كانت لديهم مؤهلات علمية أعلى. وحسب تحليلي فإن هذا القبول يُعزى إلى عدة عوامل متداخلة، من بينها اللغة المشتركة، الفهم العميق للعادات المحلية، والتجارب الحياتية المتشابهة بين الداعية والجمهور. وتُعبّر هذه العبارة عن جوهر نظرية "السياق الثقافي"، التي ترى أن فعالية الدعوة لا تعتمد فقط على مضمون الرسالة،

^١ محمد يوسف، ش. (2022). تحليل فعالية برامج PERKIM في الدعوة للمسلمين الجدد. المجلة الماليزية للدراسات الإسلامية، (2)30، ص ٨٥-١٠٤.

بل على الشخص الذي يُقدّمها، والطريقة التي يُقدّمها بها. وقد لاحظت من خلال الملاحظة الميدانية أن الجلسات التي يقودها دعاة محليون، سواء من الشباب أو كبار السن، تشهد تفاعلاً أكبر من حيث الأسئلة، والضحك، والانخراط العاطفي. في المقابل، عندما كان الداعية قادماً من خارج الجزيرة، حتى لو كان مهذباً وملتزمًا، كان التفاعل أضعف وأكثر تحفظاً. وحسب تحليلي فإن هذا التباين يُظهر أن السكان لا يتفاعلون فقط مع الرسالة بل مع من يُقدّمها، ويُفضّلون أن يروا في الداعية امتداداً لهم، لا شخصاً غريباً أو متعالٍ. وتؤكد الدراسات الحديثة مثل دراسة Abdul Rahman (٢٠٢٤) ^١ أن "الدعوة من الداخل" هي الاستراتيجية الأنجع في البيئات الطرفية، لأن السكان يثقون بأهلهم أكثر مما يثقون بالوافدين، حتى لو كانوا علماء.

ومن أبرز المشكلات التي رصدتها في هذه الدراسة الميدانية هو القصور الواضح في التمويل المؤسسي لبرامج الدعوة في الجزر. فقد عبّر أكثر من نصف المشاركين من العاملين في USIA عن أنهم يضطرون في كثير من الأحيان إلى تمويل الأنشطة من حساباتهم الشخصية، أو جمع تبرعات محلية بسيطة من أهل الخير. وهذا الواقع يُشكّل عائقاً جوهرياً أمام تنفيذ برامج دعوية مستقرة ومستدامة. وتُظهر الوثائق الرسمية التي اطلعت عليها أن USIA تعتمد على تمويل محدود ومركزي يأتي من الحكومة الفيدرالية، ولا يتناسب مع حجم التحديات في الميدان. وقد أشار Zulkifli Abdul Ghani Mohamad وآخرون أن "إذا أُريد لنشاط الدعوة أن ينتشر على نطاق واسع وبسرعة، فلا بد من توفير ميزانية كبيرة لإنجاحه".^٢ إضافة إلى ضعف التمويل، تعاني الجزر من نقص في البنية التحتية الداعمة للعمل الدعوي، مثل غياب القاعات المناسبة، أو الكهرباء، أو حتى المراحيض في بعض المساجد. وحسب ملاحظتي، فإن هذا يمثل تحدياً كبيراً أمام العاملين في الحقل الدعوي.

^١ عبدالرحمن، أ. (2024). الدعوة من الداخل: استراتيجية التمكين المحلي في المجتمعات الطرفية. مجلة دراسات إسلامية معاصرة، (19)، ص ١٩-٤٣.

^٢ Abu Dardaa, Zulkifli, Anuar Puteh, Shahrul Nizam, Razaleigh Muhamat, Abdul Ghafar Don, Ahmad Irdha, 2015, Cabaran Dakwah Islamiah Dan Masalah Perapi Di Sarawak, Muka Surat 5, Seminar Antarabangsa Dakwah & Etnik Universiti Kebangsaan Malaysia.

وواحدة من أبرز الإشارات الإيجابية التي التقطتها أثناء الدراسة الميدانية هي التغير الملموس في سلوك فئة الشباب بعد مشاركتهم في المخيمات الدعوية التي تنظمها USIA وحسب تحليلي فإن هذه الشهادة تُظهر أن البرامج التربوية الميدانية، خاصة تلك التي تتسم بالطابع الترفيهي والروحي معاً، قادرة على خلق تحول سلوكي ودافعية ذاتية نحو التدين. وقد لاحظت في أحد المخيمات أن بعض المشاركين تطوعوا لمرافقة الداعية في توزيع المساعدات الغذائية، رغم أن ذلك لم يكن ضمن جدول النشاط. وتؤكد الأدبيات أن التحول في وعي الشباب لا يحدث نتيجة لمحاضرات نظرية فقط، بل يتطلب بيئة داعمة، وتفاعلاً جماعياً يُحفّز الإحساس بالانتماء والتحمدي.

ورغم النجاح الظاهر للبرامج الدعوية في لحظة تنفيذها، إلا أن عدداً من المشاركين أشاروا إلى غياب آليات المتابعة والتقويم بعد انتهاء الأنشطة، مما يؤدي إلى تراجع الأثر بمرور الوقت. وحسب تحليلي فإن هذه الملاحظة المتكررة تُشير إلى فجوة إدارية ومنهجية في آلية العمل الدعوي. وقد أكد أحد المعلمين المحليين أن بعض الطلاب الذين تحمسوا في البداية بعد المشاركة في دورة تحفيظ، عادوا تدريجياً إلى سابق عهدهم بسبب غياب الدعم المستمر. وتُشير دراسة Zahari (2024)¹ إلى أن "برامج الدعوة التي لا تتضمن أدوات قياس الأثر ومتابعة ما بعد التنفيذ تُشبه عملية زراعة بلا ري، قد تُثبت لحظة لكنها لا تعيش". لذلك، فإن بناء نظام متابعة مبني على الاتصال المنتظم، والاستبيانات البسيطة، والتشجيع الدوري، يُعد ضرورة لا ترقاً.

وأحد المؤشرات المتكررة في تصريحات المشاركين هو أن اللغة تُعد عاملاً حاسماً في فهم الرسالة الدعوية والتفاعل معها. وأشار عدد من السكان، خصوصاً من كبار السن، إلى أنهم يواجهون صعوبة في فهم المصطلحات الفقهية أو الكلمات العربية التي يستخدمها بعض الدعاة. وهذا يُعبر عن واقع حقيقي تعاني منه المجتمعات الشفهية التي تعتمد على اللغة المحكية أكثر من الكتابية. وقد لاحظت أن بعض الدروس التي استخدمت مفردات مبهمّة قوبلت بصمت وفتور، بينما عندما استخدم الداعية استعارات من الحياة اليومية أو لهجة محلية، تحوّلت الجلسة إلى تفاعل حي.

¹ زهاري، ن. س. م. (2024). أثر غياب التقويم المستمر في العمل الدعوي: دراسة تحليلية. وقائع ندوة MASJIDs 2024، ص ١٤٥-١٦٢.

ومن بين العوامل التي تساعد على تحقيق أهداف الدعوة، نجد تضمين رسائل دعوية قادرة على التأثير في مشاعر الإنسان، مثل الغضب والخوف والفرح والحزن والاشمئزاز (Ab. Aziz¹). (2001) وينبغي أن يستقبل المدعو الداعية بردود فعل إيجابية، تصل إلى حد تحفيزهم على القيام بأفعال طوعية عند الطلب. إن الأفعال التي تنطوي على اللمسة الإنسانية، والبحث عن القواسم المشتركة، وإظهار التقدير، تجعل الداعية محترمًا ومحبوبًا. وعلى العكس من ذلك، فإن الأفعال التي تسيء إلى المشاعر واستخدام اللغة البذيئة ستؤدي إلى نفور المدعويين من الداعية".

ومن النقاط المضيئة التي كشفتها الدراسة أن المهتمين الجدد في الجزر يُظهرون رغبة صادقة في تعلّم الدين، ومساعدة غيرهم على الفهم، ولكنهم يفتقرون إلى التوجيه والمحتوى المناسب. وهذا النوع من الحماس الفطري إذا لم يُحتضن، قد يتحول إلى ارتباك أو حتى فتور. ويُعد المسلمون الجدد جمهورًا دعويًا مركزيًا، ليس فقط كمستفيدين بل كمُرسلين محتملين للرسالة داخل بيئتهم. لذلك، فإن الاستثمار فيهم من خلال برامج تأهيل شخصية، ومرافقة تربوية منتظمة، يُعد خيارًا استراتيجيًا بالغ الأهمية في سياق الجزر التي تفتقر إلى الكوادر.

ورغم أن النساء لا يُظهرن في العادة كجزء من فريق العمل الدعوي الرسمي، إلا أن الملاحظات الميدانية التي قمت بها كشفت عن أدوار غير رسمية تمارسها النساء لدعم الأنشطة، مثل الطبخ، وتنظيف مكان الدروس، ورعاية الأطفال أثناء الحلقات، أو تشجيع الأزواج على الحضور. وهذا الدور غير الظاهر يمثل موردًا اجتماعيًا حيويًا يجب أن يُدمج في التخطيط. وتؤكد دراسة Nawal (2023)² أن "المرأة في السياقات الدعوية ليست فقط متلقية، بل محرّكًا خفيًا يدعم البنية الاجتماعية لنجاح النشاط، خاصة في المجتمعات ذات التقاليد الجماعية." بالتالي، فإن إشراك النساء في تصميم برامج خاصة بهن، وتدريب عدد منهن على مفاهيم الدعوة، سيُنتج بيئة أكثر شمولًا وعدالة وتأثيرًا.

¹ Ab. Aziz Mohd Zin. (2001). Metodologi Dakwah. Kuala Lumpur: Penerbit Universiti Malaya. Ab. Aziz. Mohd Zin & Ahmad Redzuwan Mohd Yunus. (2006). Dakwah Masyarakat Orang Asli di Negeri Pahang: Masalah Pendakwah. Islamiyyat 28: 163-183.

² نوال، م. (2023). دور المرأة في الدعوة غير الرسمية في المجتمعات الريفية. مجلة الأسرة والدين، (2)9، ص 73-90.

الخاتمة

- قمت بتحليل نتائج الدراسة التي تناولت جهود منظمة USIA في الدعوة الإسلامية بجزر سيمبورنا، وأود أن أقدم فيما يلي خلاصة لأبرز ما توصلت إليه من استنتاجات، مع التركيز على الجوانب العملية والتطبيقية التي يمكن أن تساهم في تطوير العمل الدعوي في هذه المناطق.

- لقد أظهرت الدراسة أن الأنشطة الدعوية التي تنظمها USIA لها تأثير إيجابي ملموس على مستوى الوعي الديني لدى السكان المحليين، حيث لوحظ تحسن في ممارساتهم الدينية اليومية، وزيادة في الإقبال على التعلم الديني، خاصة في البرامج التي تتناول أساسيات الطهارة والصلاة والأخلاق الإسلامية. ومع ذلك، فإن هذه الجهود تواجه تحديات كبيرة، أبرزها العوائق البيئية واللوجستية التي تعرقل وصول الدعاة إلى الجزر، ونقص التمويل والبنية التحتية اللازمة لتنفيذ البرامج بشكل مستدام.

- تبين لي أن تفاعل المجتمع المحلي مع الأنشطة الدعوية يكون أكبر عندما تُقدم في إطار اجتماعي تفاعلي، يجمع بين البعد الديني والترفيه التربوي، ويراعي خصوصية ثقافة الجزيرة التي تقدر الضيافة والجماعية. كما أن فعالية الدعوة ترتبط ارتباطاً وثيقاً بمدى محلية الداعية، حيث يفضل السكان الدعاة الذين ينتمون إلى نفس البيئة الثقافية والاجتماعية، ويتحدثون لهجتهم، ويفهمون عاداتهم وتقاليدهم.

- رصدت في دراستي تأثيراً إيجابياً للبرامج الدعوية على سلوك الشباب، حيث لوحظت زيادة في اهتمامهم بالمسائل الدينية، وانخراطهم في الأنشطة الدعوية، وتطوعهم في الأعمال الخيرية. ومع ذلك، فإن غياب آليات المتابعة والتقييم بعد انتهاء البرامج يؤدي إلى تراجع هذا الأثر بمرور الوقت، مما يستدعي بناء نظام متابعة فعال يضمن استدامة التغيير السلوكي والمعرفي.

- إن الدعوة في جزر سيمبورنا تمثل تحدياً وفرصة في آن واحد. إنها تحدي بسبب طبيعة البيئة الجغرافية والاجتماعية والاقتصادية المعقدة، ولكنها فرصة لتحقيق تغيير إيجابي في حياة الناس،

وتعزيز قيم الإسلام السمحة، وبناء مجتمع أكثر تماسكاً وتضامناً. وأنا على ثقة بأن الجهود المخلصة والمستمرة، والبحث العلمي المنهجي، يمكن أن تساهم في تحقيق هذه الغاية النبيلة.

- وأخيراً، أكدت الدراسة على أهمية اللغة واللهجة في نجاح التوصيل الدعوي، حيث يواجه بعض السكان، خاصة كبار السن، صعوبة في فهم المصطلحات الفقهية أو الكلمات العربية التي يستخدمها بعض الدعاة. كما أن المهتمين الجدد في الجزر يظهرون رغبة صادقة في تعلم الدين، ولكنهم يحتاجون إلى التوجيه والمحتوى المناسب الذي يلبي احتياجاتهم الخاصة.

وبناءً على هذه الاستنتاجات، أرى أن هناك حاجة إلى إعادة النظر في استراتيجيات الدعوة المتبعة في جزر سيمبورا، وتطويرها لتكون أكثر ملاءمة للسياق المحلي، وأكثر استدامة وفعالية. ويتطلب ذلك تضافر جهود جميع الأطراف المعنية، من منظمة USIA والحكومة والمنظمات غير الحكومية الأخرى، والمجتمع المحلي، من أجل توفير الدعم المادي والمعنوي اللازم للعمل الدعوي، وتأهيل الدعاة المحليين، وتطوير البرامج والمناهج الدعوية، واستخدام الوسائل التقنية الحديثة، وبناء شراكات فعالة مع المؤسسات التعليمية والثقافية.

المصادر والمراجع

- زهاري، ن. س. م. أثر غياب التقويم المستمر في العمل الدعوي: دراسة تحليلية. وقائع ندوة 2024 MASJIDs، (2024م).
- عبد الرحمن، أ. الدعوة من الداخل: استراتيجية التمكين المحلي في المجتمعات الطرفية. مجلة دراسات إسلامية معاصرة، ١٩ (١)، (٢٠٢٤م).
- عبد الرزاق، م. الدعوة الإسلامية في المجتمعات البحرية: دراسة حالة في شرق ماليزيا. مجلة الدراسات الدعوية، ١٦ (٢)، (٢٠٢٤م).
- محمد يوسف، ش. تحليل فعالية برامج PERKIM في الدعوة للمسلمين الجدد. المجلة الماليزية للدراسات الإسلامية، ٣٠ (٢)، (٢٠٢٢م).
- نوال، م. دور المرأة في الدعوة غير الرسمية في المجتمعات الريفية. مجلة الأسرة والدين، ٩ (٢)، (٢٠٢٣م).
- Ab. Aziz Mohd Zin. (2001). Metodologi Dakwah. Kuala Lumpur: Penerbit Universiti Malaya. Ab. Aziz. Mohd Zin & Ahmad Redzuwan Mohd Yunus. (2006). Dakwah Masyarakat Orang Asli di Negeri Pahang: Masalah Pendakwah. Islamiyyat
- Abu Dardaa, Zulkifli, Anuar Puteh, Shahrul Nizam, Razaleigh Muhamat, Abdul Ghafar Don, Ahmad Irdha, 2015, Cabaran Dakwah Islamiah Dan Masalah Perapi Di Sarawak, Muka Surat 5, Seminar Antarabangsa Dakwah & Etnik .Universiti Kebangsaan Malaysia
- Rejab Abu Maleh Muhammad, 16 Mei 2017, Berdakwah Kepada Allah SWT, <https://dakwahdantarbiah.com/berdakwah-kepada-allah-swt>.